المدرسة الزراعية *

« فى خدمة المجتمع »

للمهندس الزراعى الأستاذ احمد محمود سالم

مفتش عام التعليم الزراعى

المدرسة والمجتمع :

ساد المجتمع المصرى من قديم الزمان شعور خاص ترتب عليه وجود قطيعة بين طبقة الحكام وطبقة المحكومين ، وظلت هناك هوة سحيقة بين أفراد الطبقتين حتى لقد أضحى هذا الشعور عداء سافراً بين أبنائهما فى كثير من الأحيان . لقد اقتضى صالح المستعمر أن يظل هذا الشعور قائماً بين طبقات الأمة ، بل أغلب الظن أنه عمل على اذكائه وابرازه فى شتى المناسبات ، وذلك لكى تواتيه الفرصة ويظل دائماً هو سيد الموقف . هذه القطيعة وهذا الشعور العدائى بين الحكام والمحكومين فى مصر قد تفاوتت درجاته ، ولم يقتصر الأمر فيه على هيئة دون الأخرى ، بل إنه قد امتد إلى أغلب الهيئات الرسمية ، ومن بينها معاهد العلم ، ومن بين هذه الأخيرة « المدرسة الزراعية » بطبيعة الحال . فهى قد عاشت كل عمرها بمنأى عن البيئة التى تقوم فيها ، بل إنها ظلت بعيدة عنها كل البعد ، وليس يجمع بينهما غير الاسم الذى تحمله المدرسة . هكذا سارت المدرسة الزراعية فى ركاب المجتمع ولم يكن فى مقدورها أن تشذ عنه أو تخرج عن أسلوبه وإلا أصبحت وأصبح المسئولون عنها عرضة للنقد إذا هم تخلوا عن كبريائهم ونزلوا عن مظهرهم واتصلوا بجمهرة الفلاحين . والفلاحون ليسوا وحدهم الذين خسروا من هذا الوضع وإنما كانت خسارة المدارس أفدح . فالمدرسة فقدت طابع البيئة التى تعيش

---

* محاضرة القيت فى يوليه سنة ١٩٥٥ فى جمع من نظار المدارس الثانوية الزراعية ووكلائها ومفتشى التعليم الزراعى .

فيها ، وهو الذى يميزها على زميلاتها ، فكان أن اقتصرت رسالتها على تلقين تلاميذها معلومات زراعية موحدة ، وقنعت ـ شأنها فى ذلك شأن بقية معاهد العلم ـ بتخريج فئة من الشباب اعدوا فى جميع المدارس بشكل واحد وعلى صورة واحدة ، وقنع هذا الشباب هو الآخر بحصوله على وظيفة من وظائف الدولة ، وكانت هذه الوظيفة غالباً بعيدة كل البعد عن المجال الزراعى البحت .

هكذا سارت الأمور حتى الماضى القريب ، ولكننا يجب أن نساير غيرنا ممن سبقونا ، ونضيف إلى رسالة المدرسة الزراعية أعباء جديدة وواجبا آخر . هذا الواجب هو قيامها بخدمة الإقليم الذى تقوم فيه ، والمدرسة لا يمكنها أن تؤدى هذا العبء الجديد قبل أن يقوم الاتصال بينها وبين بيئتها ، والإندماج فيها ، وهذا الاندماج أراه يتحقق بالوسائل الآتية :

١ ــ ايجاد هيئة استشارية عليا للتعليم بالأقليم :

تقوم هذه الهيئة بمركز المنطقة التعليمية وتضم لعضويتها عند النظر فى شئون المدرسة الزراعية بعض كبار الزراع بالإقليم . وليس يخفى أن عضوية هؤلاء بالهيئة المذكورة سيجبرهم على الاتصال بالمدرسة وزيارتها والتردد عليها والوقوف على ما يجرى فيها ، ويشعرون بحاجتهم إلى النهوض بها ، لأن فائدة ذلك عائدة عليهم وعلى أبنائهم ، ثم إن هذا النهوض فى النهاية منسوب إليهم .

٢ ــ تأليف مجلس لإدارة المدرسة :

لا تعتمد إدارة المدرسة الحديثة على ناظرها وحده ، بل يجب أن يشترك معه فى هذه الإدارة « مجلس » مؤلف برياسته ، وأعضاؤه من بين هيئة التدريس كما تباح هذه العضوية لبعض النابهين من مزارعى المنطقة التى تقع فيها المدرسة وتكون عضويتهم دورية حتى لا يختص بها نفر معين من هؤلاء المزارعين وحتى يتحقق الاتصال المنشود عن هذا الطريق بين المدرسة وبين أكبر عدد من مزارعى المنطقة .

٣ — دعوة مزارعي الإقليم لزيارة المدرسة :

علاوة على إتاحة الفرصة للزيارات الفردية لمن أرادها من المزارعين أو غيرهم فإني أرى أن تخصص المدرسة فترات معينة من السنة في أثناء المواسم تفتح فيها أبوابها وتدعو لزيارتها كل من يعنيهم أمر هذه الزيارة ، وتطول فترات الزيارة أو تقصر حسب الحاجة ، وفي أثنائها يجب أن تكون أسرة المدرسة ممثلة في ناظرها ومدرسيها ، ويكون طلبتها على أتم استعداد لتلبية طلبات الزوار ، وشرح كل ما يلتبس عليهم فهمه .

قد يتصور البعض أن في ذلك إضاعة لوقت المدرسة ، ولكني لا أرى هذا الرأي ، وأرى الفائدة من تبادل هذه الزيارات محققة بل هي أكبر مما نتصور . ويكفي أن يزول من أذهان الناس أن المدرسة التي ظلت هذه السنين الطويلة بمعزل عنهم أصبحت بكل وسائلها وإمكانياتها في خدمتهم ، والذي ألفت النظر إليه أن المدرسة يجب أن تفتح صدرها لكل توجيه يأتيها عن طريق هؤلاء الزوار ، ولو جاءها في صورة نقد . وأذكر في هذه المناسبة أنه يكاد يكون هناك إجماع على أن طابع المدارس في معالجة شئونها هو الإسراف ، وقد يكون ذلك هو الظاهر الذي لا يتفق مع الحقيقة ، ولكن الأمر في إيضاحه يحتاج إلى الحجة القوية والمنطق السليم ، ويحتاج إلى الأرقام مع من يدرك مدلول هذه الأرقام . وقبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى أوجه النظر إلى أهمية إقامة المعارض الإقليمية ، فهي عادة تجتذب عدداً كبيراً من المزارعين ، ثم هي من طريق آخر مرآة صادقة للمدرسة تعبر بها عن نشاطها ، ولكني أحذر من قيام هذه المعارض على معروضات مستعارة أو أخرى ليست وليدة البيئة ، ولن يغيب أمر ذلك على زوار المعرض ، ولكنهم يفقدون الثقة بالمدرسة وينسبون لها الغش والتدليس وما أغناها عن كل ذلك .

٤ — زيارة طلبة المدرسة للمؤسسات والمزارع الواقعة بالإقليم :

هذه الزيارات يجب أن ترتب ويقوم بها الطلبة في صحبة مدرسيهم ، وليس يكفي فيها مجرد المرور والمشاهدة ، بل إنه كلما أمكن إشراك الطلبة في أعمالها كان ذلك أجدى عليهم وأنفع لهم . وعادة يكون طابع العمل في هذه المؤسسات وتلك المزارع مختلفا عن طابع العمل في المدرسة ، فهو في الأولى يتجه إلى الاقتصاد التام

فى التكاليف لتتحقق الرغبة فى الحصول على أكبر ربح ممكن . زد على ذلك أن هذا الاطمئنان الذى يتولد لدى المسئولين عن هذه المؤسسات نتيجة وقوفهم على مقدرة الطلبة يدعوهم الى استخدام الكثير منهم بعد تخرجهم وتزول بالتبعية فكرتهم عنهم التى يؤكدون بها جهل الخريجين بشئون الحياة كلها . كل ذلك وغيره من وسائل الاتصال مما لايتسع الوقت لسرده كفيل بتحقيق الرغبة فى اندماج المدرسة بالبيئة ، فيأنس أهلها إليها ويلتفون حولها ويتجهون إليها حينما تعوزهم الحاجة .

كيف تخدم المدرسة المجتمع :

والآن نعرض إلى الخدمات التى يمكن أن تقوم بها وتؤديها المدرسة لأهالى الأقليم وهى كثيرة لاتدخل تحت حصر ، والذى أراه يحددها هى الرغبة الصادقة والنية الخالصة من جانب المدرسة فى القيام بها أولا، وثانيا مدى امكانياتها. وهذه الإمكانيات تتمثل فى :

١ ــ الكفاية العلمية لأعضاء هيئة التدريس .
٢ ــ الآلات والأجهزة والأدوات التى يتوافر وجودها لدى المدرسة .
٣ ــ الحيوانات والدواجن ووسائل علاجها .

الكفاية العلمية لأعضاء هيئة التدريس

تزخر المدرسة الزراعية بكفايات علمية منوعة لانظنها قد توفرت لغيرها من الهيئات الاقليمية الأخرى ، فكثرة المدرسين من الزراعيين الذين اختص كل منهم فى فرع من فروع المعرفة الزراعية ، مع ما يوجد إلى جانبهم من المهندسين والأطباء البيطريين ، وجميع هؤلاء تمكن الافادة منهم كل فى الناحية التى اختص فيها إلا ان ذلك يحتاج إلى تنظيم ولايجب أن يترك لرغبة المدرس إن شاء أقدم وإن شاء أحجم . وهو فى كلا الحالين لايشعر بمسئولية . وفى رأيى أن هذا التنظيم يجب أن يقوم على الأسس الآتية :

(١) أن تكون خدمة الإقليم دورية بين أعضاء هيئة التدريس، أى يختص بها عدد معين فى كل سنتين وليكن خمسة فى مختلف الفروع :

(ب) يعفى هؤلاء من بعض واجباتهم المدرسية نظير قيامهم بهذه الخدمات .

(حـ) يقرر لهؤلاء أجر إضافى معلوم فى حدود معقولة تدفعهم إلى التفانى فى أداء هذا الواجب ، وأرى أن يكون هذا الأجر بواقع خمسة جنيهات لكل منهم شهريا مع تيسير سبل الانتقال لهم .

وواجبات هؤلاء لاتقتصر على حد النصح والإرشاد وإنما تتناول التوجيه العلمى والاشتراك الفعلى مع فلاحى الأقاليم فى مواجهة كل شئونهم على أساس علمى سليم بعيد عن الارتجال . وأذكر على سبيل المثال لا الحصر مجهودات الطبيب البيطرى فى مقاومة وعلاج أمراض الحيوان والدواجن ، وجهوده فى هذا السبيل لابد ستؤدى إلى خير الفلاحين وإسعادهم ، وجميعنا لابد يعلم مدى الخسائر التى تحيق بهم نتيجة نفوق ماشيتهم أو دواجنهم ، لأنها لم تحقن بالأمصال الواقية من مختلف الأمراض . وأما الزراعيون فواجبهم الأول هو التعرف على المشاكل الاجتماعية والزراعية للاقليم والوقوف على أسبابها والدوافع لها والاشتراك مع المختصين فى علاجها . والمدرسة الزراعية وحدها يمكنها أن تنهض ببعض هذه الأعباء وتساهم مع غيرها من المصالح الحكومية الأخرى فى البعض الآخر .

من ذلك تعميم التقاوى المنتقاة والدعاية لها ، ومقاومة الآفات بالطرق الحديثة ، وإقامة التجارب لمختلف الأغراض بمزارع المدرسة ، وفى مزارع بعضهم كلما كان ذلك ممكناً ، وتعميم نتائج هذه التجارب وغيرها بينهم . وليس أفعل فى نفوس هؤلاء الفلاحين من مشاهدتهم لمزارع المدرسة الناجحة والعمل بمضى فيها على أساس اقتصادى سليم ، فيقلدونها ويحذون حذوها ، ولايخفى أثر ذلك على زيادة غلة محصولاتهم ثم أثره على انعاش الاقتصاد القومى للبلاد .

وهناك وسيلة أخرى جعلتها الأخيرة ، لأنى أشك فى فوائدها العاجلة بين صغار الفلاحين ، تلك هى « المحاضرات » . والمحاضرة لا تؤدى الغرض منها بين هؤلاء الفلاحين إلا إذا توافرت لها عناصر النجاح الآتية :

١ — اختيار موضوعها بحيث لا يخرج عن الكلام فى مشكلة من مشاكلهم ، لأنهم فى العادة لا يهتمون بمشاكل الغير .

٢ — اختيار الوقت والمكان المناسبين لإلقاء المحاضرة ، كأن يكون ذلك بين

صلاة المغرب والعشاء وفى مسجد من المساجد ، وعلى قدر الإمكان يكون مكان المحاضرة بعيداً عن « دوار العمدة » لأن الفلاح بطبيعته ينفر من هذا المقر الرسمى لأسباب لا أراكم تجهلونها .

٣ــ لغة المحاضرة وأسلوب المحاضر : يجب أن يكونا قريبين من أفهام المستمعين .

٤ــ حبذا لو صحب المحاضرة بعض نواحى الترغيب كأن يسبقها أو تختتم بعرض فيلم سينمائى ثقافى أو ترفيهى .

الآلات والأجهزة والأدوات

الآلات الحديثة تؤدى دوراً هاماً فى الزراعة ، فهى علاوة على إجادتها للعمليات الزراعية التى تؤدى بها فإنها كذلك تقوم بها بسرعة وفى الأوقات المناسبة ولسنا نشك فى مقدار الفائدة التى تعود على الاقتصاد القومى من استخدام هذه الآلات والأدوات ، ولا سبيل الآن إلى نشرها بين صغار الفلاحين ، ذلك لأن مواردهم محدودة ، وهم حين يلمسون فائدتها ويقتنعون بأهميتها سنجدهم يقبلون على استخدامها ويلحون فى طلبها ويعملون على اقتنائها ، لا عن طريقهم كأفراد وانما عن طريق جمعيات تعاونية يسعون هم إلى تكوينها . هذه الآلات الحديثة يوجد منها الكثير بكل مدرسة ، وغالباً تفوق حاجة العمل بها ، وليس من المصلحة تركها دون عمل ، بل ان العمل غالباً يفيدها ، لأنه يؤدى إلى المحافظة عليها وصيانتها . ويمكن للمدرسة أن تعلن عن استعدادها لتأجير الآلات الكثيرة الموجودة لديها لفلاحى المنطقة ولا يجوز لها أن تنشد من وراء ذلك العمل مكسباً مادياً بل يكفى فى تقدير هذا الايجار أن يكون مساوياً لتكاليف التشغيل مضافا إليها الاستهلاك . والمدرسة إذا هى غالت فى تقدير ايجار آلاتها فسينصرف عنها الفلاح وتكون قد خرجت عن الأهداف التى يجب أن تسعى إلى تحقيقها ، ويجب أن يكون مفهوما أن هذه الأهداف لا تخرج عن :

١ــ مساهمة المدرسة بوسائلها وإمكانياتها فى زيادة الانتاج الزراعى .

٢ — اشتراكها فى نشر الوعى الزراعى السليم الذى أصبح يعتمد إلى حد بعيد على الآلات الحديثة مع نبذ الآلات القديمة .

وأذكر من هذه الآلات التى تتوافر تقريباً فى جميع مدارسنا الزراعية الجرارات «المحاريث» ماكينات الدراس والتذرية . مجموعات الرى النقالى. موتورات الرش . ماكينات تفريخ البيض ، وغيرها وغيرها .

ويسرنى أن أعلن أن إحدى مدارسنا ولعلها « المنصورة » قد بدأت فعلا فى تنفيذ هذه السياسة ، والمراقبة لم يكن لديها مايمنعها من الموافقة على تأجير ماكينة الدراس وعلى الايجار الذى حددته . وهذه من جهة المدرسة المذكورة خطوة موفقة نأمل أن تتلوها خطوات وخطوات كما نرجو أن تحذو حذوها بقية المدارس.

الحيوانات والدواجن

المعروف أن الثروة الحيوانية تؤلف نسبة عالية بين رأس ما لنا ودخلنا الزراعى ، وأن كل عناية تصيب هذه الثروة لابد مؤدية إلى ازدياد دخلنا منها . والأرقام تدلنا على خسائر البلاد الفادحة بسبب الإهمال الذى يصادف حيواناتنا سواء أكان فى ناحية التربية أم فى ناحية العلاج من الأمراض أو الوقاية منها . والفلاح خصوصاً الصغير يتعرض إلى هزات عنيفة وصدمات قاسية بسبب نفوق ماشيته ، ولا أبالغ إذا قلت إن نفوق هذه الماشية لا يعادله موت زوجته ، ذلك لأن الحصول على الزوجة يعتبر أمراً سهلا أما الحصول على الماشية فمهمة شاقة دونها كل عزيز .

هكذا تبدو حاجة البلاد الملحة إلى النهوض بثروتها الحيوانية . والمدرسة الزراعية بوسائلها يمكنها أن تؤدى دوراً هاماً فى هذا السبيل ومجالها فى ذلك ينحصر انحصاراً أساسياً فى الأمور الآتية :

١ — تحسين المواشى والحيوانات . ووسائل ذلك غير مجهولة وأبسطها ما قام على اقتناء المدرسة للطلائق الممتازة ، وقيام هذه الطلائق بالوثب على مواشى وحيوانات الفلاحين نظير أجر زهيد أو بدون أجر .

٢ — توزيع الدواجن التى تثبت صلاحية تربيتها فى الإقليم على مزارعيه .

٣ — علاج الحيوانات والدواجن ووقايتها من الأمراض عن طريق حقنها بالأمصال .

المدرسة الزراعية والوحدة المجمعة

تبذل الدولة فى الوقت الحاضر جهوداً جبارة للنهوض بالريف وأهله، وقد انتهت دراسة المسئولين فى هذا الشأن إلى إقامة « وحدات مجمعة » تخدم كل منها ١٥ ألف نسمة من السكان ، ويتركز فى هذه الوحدات النشاط الحكومى كله .

ونشاط الوحدة المجمعة فى الناحية الزراعية لا نظنه يختلف كثيراً عما عرضت له من خدمات يمكن للمدرسة أن تؤديها . والمدرسة الزراعية بإمكانياتها ووسائلها والخبرات العلمية الموجودة فيها لا شك أقدر من غيرها على خدمة جمهورها ، وإنما يتوقف ذلك كثيراً على صدق النية ، وخلوص الطوية ، والرغبة الصادقة من جانب ناظر المدرسة ومدرسيها فى أداء هذا الواجب الوطنى .

كلمة شكر :

قبل أن أختتم كلمتى أتوجه إليكم بالشكر العميق لتفضلكم بالاستماع إلى هذه الآراء التى لا أراها جديدة عليكم كما لا يفوتنى أن أشكر زميلى الدكتور محمد سيد عبد الرحمن والأستاذ أنور البحيرى لأنهما اختصانى بالكلام فى موضوع هو أقرب إلى المحاضرة منه إلى شىء آخر ، وهما بذلك قد هيآ لى جواً هو أقرب ما يكون إلى الجو الذى أمضيت فيه أكثر أيام حياتى ولا أزال أحن إليه وأعتز به . والله أسأله أن يوفقنا إلى خدمة بلادنا ؟